مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثامن الاربعون – آب ٢٠٢٥– صفر ١٤٤٧
ISSN–2536–0027

المعراج الروحي عند ابو القاسم القشيري

م. م سجى هادي وثيج خربوت
كلية الآداب-جامعة واسط
الاختصاص التصوف الإسلامي
Saga 121@uowasit.edu.iq

الملخص

يعتبر المعراج عند الصوفية وجهاً من أوجه الاتصال بحضرة الخيال، ويتخذ القشيري من تجربة المعراج النبوي نموذجاً للمحاكاة والمحادثة، حيث يظهر مجموعة نصوص المعراج الروحي عند الصوفية أنها مبنية على نسق حديث الاسراء والمعراج للنبي (صلى الله علية وآله وسلم) الأ أن المعراج الروحي عند الصوفية مختلف عن المعراج النبوي باختلاف درجة الوعي بين الانبياء والأولياء، فالوعي النبوي انما هو وعي يتحكم في تهذيب قوى النفس بأعلى أوجه الفناء ، ويوجهها نحو انشاء عالم جديد في المثل العليا.

Summary :

In Sufism, the Mi'raj (Ascension) is seen as a means of communication with the realm of imagination. Al-Qushayri considers the Prophet's Mi'raj as a model for simulation and dialogue. The mystical texts about the spiritual Mi'raj are based on the narrative of the Prophet Muhammad's (peace be upon him) Isra and Mi'raj. However, the spiritual Mi'raj differs from the prophetic one in terms of the level of awareness. The prophetic awareness aims to purify the soul and achieve fana (annihilation), directing it toward creating an ideal world.

المقــدمة :.

إن مصطلح العروج في المعنى الصوفي لا يشير الى القرب من الله فحسب ، وإنما دلالة جاءت على معنى أخر وهو سمو الروح، واستعرضت مختلف التفسيرات الواردة له حتى أبين كيف تعاملت المذاهب الاسلامية مع معراج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فضلاً عن موقف الصوفية أنفسهم ، فقد حاولِ جاهداً ربط تلك النظريات كلها مع الرؤية الصوفية للموضوع.

وهنا نرى ابرز شخصية ارتبط ذكرها بمسالة العروج الصوفي هو أبو يزيد البسطامي، فقصص عروجه، وبعض أقواله التي تتشابه مع أقوال الصوفية الهنود إضافة لتعبيراته الدافقة، وقد استرعت انتباه من المستشرقين المعاصرين فتتبع تلك المسحة الهندوسية فيها، كما اثارت آراء أبي يزيد جدلاً واسعاً في عصره وفي العصور الحديثة ، في الشرق والغرب على السواء، وهذا ما أشعرني بأهمية دراسة مفهوم (الفناء) وتطوره من خلال أفكاره، بغض النظر أكان مؤمنا بوحدة الوجود كما زعم البعض أم لم يكن .

وعند المقارنة التي لا غنى عنها بين عروج النبي (صلى الله عليه وآلة وسلم) وبين روايات عروج أبي يزيد البسطاي المتنوعة يجد فيها تشابه بجسد الظاهر ، وهنا يبرز السؤال : " هل كان عروج أبي يزيد البسطامي

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثامن الاربعون – آب ٢٠٢٥– صفر ١٤٤٧
ISSN-2536-0027

مجرد تقليد لمعراج النبي (صلى الله علية وآلة وسام) أم كان تأثير بزعماء الشيعة الذين ادعوا نوعاً ما من قصص العروج ؟" (القشيري، ٢٠١٦،ص١٥).

المعراج في اللغة واصطلاحاً

المعراج في اللغة هو آلة العروج والعروج هو الصعود ، قال ابن فارس : (العين والراء والجيم ثلاث أصول ...الأصل الثالث : العروج : الارتقاء ، يقال : عرج يعرج عروجاً ومعرجاً، والمعرج : المصعد) (ابن فارس، ١٩٧٩م،ص٣٠٤-٣٠٦).

وقال الخليل بن أحمد : (عرج يعرج عروجاً، أي : صعد، والمعراج : المصعد ، والمعراج : الطريق الذي تصعد فيه الملائكة، والمعراج شبه سلم أو درجة ...، والمعارج في قول الله (من الله ذي المعارج، وتعرج الملائكة والروح الية) (المعارج: ٤) ، جماعة المعرج) (الفراهيدي، ٢٠٠٣م، ص٢٢٣)، وقال ابن دريد (المعراج فيما زعم أهل التفسير : سبب تنحدر علية الملائكة من السماء) (ابن دريد، ٢٠٠٣،ص ٤٦١).

فمعاني المعراج كلها تدور على الآله، لأنها مفعال من العروج، وهذا وزن اسم الآلة كالمسحاة والمقلاة ونحو ذلك، ولذلك كانت معانيه عند أهل اللغة تدور حول ذلك فهي :درج ، شبه سلم، طريق، مصعد، واوسعها مدلولاً: (مختار،٢٠٠٨،ص ١٤٠).

اما تعريفها اصطلاحاً: فهو لا يبعد كثيرا عن المعاني اللغوية، بل يبنى عليها ، ويزاد فيها بعض الالفاظ الشرعية التي تحدد العموم اللغوي.

والمعراج اصطلاحاً : صعود النبي (صلى الله علية وآلة وسلم) من بيت المقدس الى ما فوق السموات السبع ، حتى بلغ سدرة المنتهى وجاوزها ، في آلة تسمى المعراج، وعودته في نفس الليلة ، وما صحب ذلك من أحداث ومشاهدات (القرموشي ، ١٩٩٧، ص١٤).

يهتم المتصوفة في نظرتهم الى النبي(صلى الله علية وآلة وسلم) بموضوع المعراج، وهذا الموضوع لهُ حضور واضح في كتابات المتصوفة، على الرغم من أن الصوفية يؤكدون أن للنبي عرج بروحه وجسده ' ولقد تبين ذلك بقول الطوسي : (وقالوا في معنى قول سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله أنه لو اسري بروحه كما قال المخالفون لم يقل أسرى بعبده لأن اسم العبد لا يقع الا على الروح والجسد). (الطوسي،١٩٦٠ ، ١١٢).

وتأكيد المتصوفة هذا في تفسيرهم للمعراج على أنه لقاء شخصي واضح الدلالة ، وإن النبي (صلى الله علية وآلة وسلم) على الرغم من أنه أكمل الخلق الا أنه يبقى مخلوقاً وانه غير متحد بالله، وإن اول سورة الاسراء ينص على(سبحان الذي أسرى بعبدة ليلاً)،(سورة اسراء : الآية ١) وذلك يشير الى إن النبي لم يزل (عبده) حتى في أجل لحظات الغيبة ، كما ذكر ذلك في سورة النجم أيضاً، وهذا يتضمن إن يكون لفظ (عبده) أعلى ما يصل الية الانسان الذي مع ذلك يمكن أن يتكلم مع الله دون أن يمحي محواً كلياً (انا ماري،٢٠٠٦،ص ٢٥١) .

المعراج الروحي الذي صورة المتصوفة أشبه ما يكون بصورة المعراج النبوي ، فقد فسروا المعراج النبوي تفسيراً صوفياً وشرحوا مغازيه الروحية التي هي ترق باطني يظهر فيه ما يتجلى للسالك من أنواع الكشف، وان الصوفية هم ورثه للنبي المتبعون لشرعة وسنة، ويصلون الى الحضرة الالهية بدوام ذكر الله والتأمل في أسرار القرآن والبراق الذي يحملهم سريعاً في رحلتهم الى الله هو المحبة الالهية والمسجد الاقصى هو النور والحق، وهكذا يصلون الى غاية طريقهم حيث ترتفع عنهم الحجب وتنكشف لهم الاسرار. (عفيفي، ٢٠١٧،ص ١٢٠-١٢١).

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثامن الاربعون – آب ٢٠٢٥– صفر ١٤٤٧
ISSN-2536-0027

تعددت المعارج في الفكر الصوفي، وإن كانت كلها تستلهم معراج الرسول (صلى الله وعلية وآلة وسلم) وتتفق بوصفه رؤياً في السفر الصعودي الروحي نحو الحق تعالى الذي يشكل غاية كل معراج وقد أجمل ابن عربي في فتوحات الكلام في تمييز المعراج عن غيره من الاسفار بقولة " كل نظر الى الكون، مهما كان فهو نزول، وكل نظر الى الحق مهما كان فهو عروج" (ابن عربي ، الفتوحات المكية، ص١٢).

ومن بين أهم المعارج في الفكر الصوفي التي توفر فيها شروط العروج نحو الحق، معراج أبي يزيد البسطامي، وأبي القاسم الجنيد البغدادي ، ومعراج ابن عربي المسمي الاسرا الى المقام الأسرى. (ابن عربي، ١٩٨٨، ص ٥٤).

ويعد معراج ابن عربي من أشهر المعارج الصوفية، ويحكي قصة عروج (ابن عربي) في المنام الى أقطار السماوات السبع وما فوقها من حضرات وهي الأماكن التي فوق السماوات ، حيث يبلغ سدرة المنتهى ، ويطلب الترقى الى الملا الاعلى الذي يحجبه عنه حضرة الكرسي، وفي الكرسي يجمع بقطب الشريعة الذي يصحبه مدة يلقنه فيها العديد من الوصايا، وبعدها يطير الى الملا الأعلى وحضره قاب قوسيين.

وقد أشار إلى هذا الدليل محي الدين بن عربي في كتابه (الاسراء إلى المقام الأسرى أو كتاب المعراج) عند ذكر المحاورة التي حصلت بين السالك والفتى الروحاني بقولة :" فعسى إن تعرفني حقيقة القرآن والسبع المثاني قال : أنت غمامة على شمسك، فاعرف اولا حقيقة نفسك. فإنه لا يفهم كلامي، إلا من رقي في مقامي ولآ يرقاه سواني فكيف تريد أن تعرف حقيقة اسمائي! لكن يعرج بك إلى سمائي ثم انشدني وحيرني:

أنا القرآن والسبـــع المثاني وروح الروح لا روح الأواني
فؤادي عند معلـــومي مقيم يناجيـــــــــه وعندكم لساني
فلا تنظـــر بطرفك نحو جسمي وعـــــد عن التنعم بالمغاني
وغص في بحـــــر ذات الذات تبصـــرعجائب ما تبدت للعيان
وأسرار تراءت مبهمات مسترة بأرواح المعاني (تايه، ٢٠١٧، ص٦٨٦).

وبالتالي فالفناء في تصور ابن عربي، هو الدرجة الأخيرة من المعراج العقلي للنفس التي ترتفع باستبعاد كل ماسوى الله بمعنى أنه أعلى درجة من الاتحاد بينها وبين الواحد التي تصبح تراه متجليا في جميع الأشياء، ويرى ابن عربي ان هناك أقوال عدة تنسب إلى الفناء، ومن قال :الفناء فناء رؤية العبد فعله بقيام الله على ذلك، وقال بعضهم :الفناء فناء عن الخلق واوصله بعضهم إلى سبع طبقات. (كيطان، ٢٠٢٢،ص٦١٣).

ان محور التأويلات الروحية في التصوف هو اسراء النبي ليلا ومعراجه الى السماء فقد يؤولون الصوفية هذه الرحلة تأويلا مجازياً واستخدموا مصطلحات رحلة المعراج لمعايشتهم الشخصية لسكرة الغيب ، وكان اول من استخدام تلك الصورة هو ابو يزيد البسطامي واصفاً بها طيرانه الصوفي عبر السماء ، ثم تبعه اخرون (آنا ماري، ٢٠٠٦، ص٢٤٩).

وهذا اللقاء الشخصي الذي تم بين النبي والله ، له نظير عند المؤمنين وهو الصلاة ، فالصلاة هي معراج المؤمن ، والقشيري يقول في ذلك (إن نبينا علية السلام أتي للامة بالمعراج على التحقيق ، فأن الصلاة لنا بمنزلة المعراج ، وقد كان المعراج له علية السلام ثلاث منازل من الحرام الى المسجد الأقصى ثم من المسجد الاقصى الى سدرة المنتهى ، ثم منها قاب قوسين أو أدنى فكذلك لنا الصلاة ثلاث منازل : القيام ، ثم الركوع ، ثم السجود وهو نهاية القرب الى الله كما قال الله تعالى(واسجد واقترب) سورة المعراج : الآية ٨١، فتجربة المعراج تجربة نبوية عالية ، ويمكن للأخرين أن يحصلوا عليها من خلال المجاهدات .

لا يقتصر القشيري على كونهُ متكلماً اشعرياً بل هو صوفي ومحدث ايضاً، لذا فالمسائل العقائدية في المعراج تشتغل حيزا بارزاً من اهتمامه في الكتابة، شأنها شأن نقد الحديث سنداً ومتناً، وتأويلات الصوفية

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثامن الاربعون – آب ٢٠٢٥– صفر ١٤٤٧
ISSN–2536–0027

حول لطائف المعراج، وهو ان يعطي الموضوع الأخير الأهمية القصوى ، ويتطرق القشيري في كتاب المعراج الى مختلف النقاط وهي ، هل المعراج بالجسد أم بالروح، هل رؤية الله في المعراج، ومسالة التشبيه والمشبهة.

اختلفت الفرق الكلامية في النظر الى المعراج واستخدام كل منها الأحاديث من ليلة المعراج التي تدعم مقولاتهم وموقفهم. ويتبين هنا موقف القشيري الى كل من هذه الآراء، يستهل القشيري بذكر مواقف الناس من المعراج ، فيقسم تلك مواقف الى أربعة :.

منكرو المعراج آصلا ، ومدعو استحالته عقلاً، معتبرو المعراج رؤياً تقتضي التأويل(وهم ينكرون بالتالي حصوله بالجسد)، المغالين في الاعتقادية، ورواه الاحاديث المنكرة عنه.

-الثابتون على الحق والمعتمدون بما أوجبه العقل.

والقشيري يصنف نفسه ضمناً من هذه الفئة الرابعة، ويعلن أنه سيرد شبه من جحد المعراج، ليأخذ بعدها بأقاويل أهل التفسير والتأويل واللطائف (الصوفية).

والقشيري الذي يدرج نفسه ضمن أهل الحق وهم المجمعون على أن الاسراء والمعراج كلاهما تم بالجسد وأن الرسول رأى بعينة الجنة والنار' ويعطي تأويلا لبعض ما يرد في الروايات من ألفاظ تدل على نوم الرسول : مثل الانتباه وغيرة، فيقول أنه كان للنبي بتلك الليلة معراج بجسده، ويمكن أن تكون له في غير تلك الليلة معارج في نومة. (القشيري ،٢٠٠٧، ص٢٤)

ووردت اسئلة في مقدمة كتاب المعراج القشيري هل كان المعراج رؤياً ، ام تم بالجسد والروح؟

والقشيري يسارع الى الجواب الصحيح بقولة أنه عرج الى السماء بجسده ويعاود مجادلة القائلين بحصول المعراج بالروح فقط ، فإذا جاز على الروح، وهو جسم لطيف، قطع تلك المسافات الكثيرة في شطر من الليل ، فلم لا يجوز ذلك على جسدة ، ويتصدى مجدداً للألفاظ الواردة في بعض الاحاديث ، والدالة على النوم والاستيقاظ بتأويلات شتى ، مشابهة لما ورد في المقدمة ولكنها أثر تفصيلاً.

ويمكن أن نسجل بعض ملاحظات على كلام القشيري :.

إنه يعرض في مقدمة كتابة وفي متنه للعقيدة الاشعرية في المعراج ، وهو الأشعري عقيدة ومذهباً كلامياً كما رايناً ، ويستغل هذه الفرصة للطعن على اعداء الإشارة ، فينسب الى أكثر الروافض (الشيعة) والمعتزلة ، والقول أن المعراج كان بالروح دون الجسد وكلامة هذا غير دقيق . فمقولة أن المعراج كان بالجسد وليست بالروح فقط ، يبدو أنها عقيدة تبلورت وتطورت مع الزمن ، فالعديد من كبار الصحابة قالوا بأن المعراج كان رؤيا ، وأن جسد الرسول (صلى الله علية وآلة وسلم) لم يغيب عن مكة وورد عن أبي يعقوب بن عتبه كان أذا سئل عن مسرى (الاسراء) رسول الله قال : " كانت رؤيا من الله تعالى صادقة). وكما نقل عن عائشة زوج النبي كانت تقول " ما فقد جسد رسول الله (صلى الله عليه وآلة وسلم) ولكن أسرى بروحة "(تفسير الميزان، ج٢٤، ص١٣).

رؤية الله في المعراج

فكثرت الاقاويل والآراء والتأويل بشأن رؤية محمد (صلى الله وعلية وآلة وسلم) ربه ليلة المعراج ، فمنهم من قال بجوازها ، ومنهم من نفي ذلك، واختلاف القائلون بحصول هذه الرؤية وفي كيفية حصولها، هل رآى الرسول ربه بعيني رأسه، أم بفؤاده ؟

فبماذا يقيدنا القشيري في معراجه حول هذه المسائل ؟ وما هو رأيه ومعتقده في ذلك؟ و في هذه المسالة يتوقف القشيري مطولاً ويخصها في باب مستقل في كتابة باب في روية الله، ويتحدث عن اختلاف المسلمين

ISSN–2536–0027

في حصول هذه الرؤية ، وينقل عن عائشة الحديث المشهور من زعم إن محمد رأي ربه ليلة المعراج " أعظم على الله الفرية" (الانتصار، العاملي، ص٤٢).

أما في كيفية حصول الرؤية ، وهل رأى الرسول (صلى الله علية وآلة وسلم) ربه بعين راسه أم بقلبة، فنرى أن للقشيري يميل الى القول بالرؤية بالقلب ، وذلك من خلال الزيادات في آحاديث المعراج ، التي يوردها عن رواية ابي حذيفه اذ يذكر هذا الأخير عن الرسول " ثم غشي نور العرش بصري، فكنت أرى بقلبي ولا أرى ببصرى" والرؤية بالقلب تتوافق وتنسجم مع عقيدة المذهب الأشعري الرافض للتشبيه.(القشيري ،٢٠٠٧ ص٢٤-٣٥).

الخاتمة:

١-يعتبر المعراج انتقال روحي العالم الادنى الى العالم اعلى وذلك من خلال ما يستطيع السالك من تجاوزه من محطات روحية عالية

٢- يعتبر الإسراء والمعراج النبوي مثالا احتذى به كبار الصوفية في تجاربهم الروحية

٣- ان المعراج يمثل حلقة الوصل والانطلاق من العالم السفلي الى عالم الملكوت.

لذلك يمثل المعراج بعدا كاشفا للمعاني الغيبة.

قائمة المصادر والمراجع :.

١-ابو القاسم القشيري ، كتاب المعراج ، تحقيق أ.د قاسم السامرائي ، ط١، الفرات للنشر والتوزيع –بيروت، لبنان، ٢٠١٦.

٢-لابي القاسم عبد الكريم بن هوزان القشيري، كتاب المعراج، نشره : لويس صليبا، دار ومكتبة بيليون – بيروت، ٢٠٠٧.

٣-ابو العلا عفيفي، الثورة الروحية في الاسلام، التصوف، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٧.

٤-أنا ماري شميل، الابعاد الصوفية في الاسلام وتاريخ التصوف ، ترجمة: محمد اسماعيل، منشورات الجميل، بغداد، ط١، ٢٠٠٦.

٥-عمر بن صالح القرموشي، الاسراء والمعراج ومسائل العقيدة فيهما، اشراف: احمد بن عبد اللطيف، جامعة أم القرى.

٦-الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق : محمد عوض مرعب، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١.

٧-ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق : عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٨-احمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٩-الطوسي ، اللمع في التصوف ، ط٢، مطبعة بريل بمدينة لندن، ١٩٦٠م.

١٠-ابن عربي ،الاسر الى المقام الاسرى، دار دندرة للطباعة والنشر، بيروت ، ١٩٨٨م.

١١- ابراهيم موحان تايه، طرق الصوفية ومنهجيتهم في إثبات الالوهية، مجلة لارك للفلسفة والعلوم الاجتماعية، العدد الرابع والعشرين،٢٠١٧.

DOl:https://doi.org/10.31185/lark.Vol1.Iss24.526

١٢-علي رياض عبد عسل، إياد مطلك كيطان، القيم الأخلاقية عند ابن عربي، مجلة واسط للعلوم الانسانية . 2022.

Dol:https://doi.org/10.31185/wjfh.Vol18.Issالجزء20%الرابع95.

List of Sources and References:

ISSN–2536–0027

1- Abu al-Qasim al-Qushayri, The Book of Ascension, edited by Prof. Dr. Qasim al-Samarrai, 1st ed., al-Furat Publishing and Distribution - Beirut, Lebanon, 2016.
2-Abu al-Qasim Abd al-Karim ibn Hawzan al-Qushayri, The Book of Ascension, published by Louis Saliba, Dar and Library of Billion - Beirut, 2007.
3-Abu al-Ala Afifi, The Spiritual Revolution in Islam, Sufism, Hindawi Foundation, 2017.
4-Anna Marie Schimmel, The Sufi Dimensions in Islam and the History of Sufism, translated by Muhammad Ismail, al-Jamil Publications, Baghdad, 1st ed., 2006.
5-Omar ibn Salih al-Qarmoushi, The Night Journey and Ascension and the Issues of Doctrine Therein, supervised by Ahmad ibn Abd al-Latif, Umm al-Qura University.
6-Al-Azhari, Tahdhib al-Lugha, edited by Muhammad Awad Mara'b, Dar Ihya' al-Turath al-Arabi, Beirut, 1st ed., 2001.
7-Ibn Faris, Maqayis al-Lugha, edited by Abd al-Salam Harun, Dar al-Fikr, 1399 AH/1979 CE.
8-Ahmad Mukhtar, Dictionary of Contemporary Arabic, Alam al-Kutub, 1st ed., 1429 AH/2008 CE.
9-altuwsi,allamae fi altasawuf,ta2,matbaeat biril bimadinat landan,1960.
10-lbn arabi,the captivity to the captive station, dar Dandara for prining and publishing,Beirut,1988.
11-Ibrahim Muhan Tayeh, Sufi Methods and Methodology in Proving Divinity, Lark Journal of Philosophy and Social Sciences, Issue Twenty-Four, 2017:
DOl:https://doi.org/10.31185/lark.Vol1.Iss24.526.
12-Ali Riyad Abdul Asal, Iyad Mutlaq Kitan, Moral Values in Ibn Arabi, Wasit Journal of Humanities, 2022.
Dol: https://doi.org/10.31185/wjfh.Vol18.Iss Part%20Fourth.95